المنهج العقائدي في ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأثره في بناء المجتمع الإسلامي

المدرس الدكتور
خمائل شاكر الجماليّ
مركز إحياء التراث العلمي العربي ـ جامعة بغداد
dr.khamael_sh@yahoo.com

سجلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام نجاحاً في ابراز مفاهيم فكرية وثقافية في المجتمع الإسلامي من الممكن تحديدها تحت عنوان الهوية العقيدية للثورة، استهدفت تحقيق متطلبات الوعي الإسلامي المعاصر؛ إن من السمات الأصيلة للثورة تداخلها العضوي بالهوية الإسلامية؛ فهي تجسدّ الإسلام فكراً حياً، وهي شعار المسلم الذي يلتمس منها دروساً لحياته التي يرنو بناءها على أسس التوحيد؛ فكل مبادئ الإسلام وجوانب العقيدة تجسدّت عملياً في هذه الثورة؛ إذ نجدّ الإسلام في السياق الفكري، وفي العمل، وفي مرحلة التحقيق والتطبيق لها. (مطهري، ١٤٣٠هـ، ص٢٢٠).

ومن هذا المنطلق الإسلامي ركز الإمام الحسين عليه السلام في ثورته على الإنسان وصون كرامته واتجاهاته العقائدية والدينية، مرتكزاً بذلك على مفهوم الحرية الإنسانية وانتشالها من القيود غير الشرعية التي وضعتها الخلافة الأموية على الإنسان، عن طريق تفويض إرادة الأمة وربطها عملياً بالنظام السياسي الأموي؛ فالحرية تعبير أصيل عن الكرامة الإنسانية، وهي تقدر بمعيار ذاتي وتضفي عليها قيمة معنوية وخلقية أصيلة، بوصفها المظهر الجوهري للكرامة وتحقيق الذات، اللذين لا يعود للحياة بدونهما أي معنى. (الصدر، ١٤٢٥هـ، ص٢٢٦)

لقدّ طرح الإمام الحسين عليه السلام شعار "**هيهات منا الذلة**" عن طريق ثورته؛ لينبه الأمة الإسلامية إلى أصالتها الرسالية، وعقيدتها القرآنية التي جعلت المؤمنين أعزة في دستور الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. المنافقون: ٨ (الصدر، ١٤٢٥هـ، ص٢٢٦)

وإن من أهم العقائد التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام في ثورته، بَيَنَها الإمام حينما صمم على القيام بحركته التغييرية في المجتمع الإسلامي وقتها، فبدأ بتوضيح ذلك الأساس العقائدي الإسلامي الذي انطلق منه، وحدد منهجه وأهدافه عليه ؛ إذ كانت هذه العقائد الفكرية متجسدة في وصيته لأخيه محمد بن علي عليه السلام المعروف بمحمد بن الحنفية: ".. **إن**

الحسين يشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وان الجنة حق، والنار حق، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور. " واني لم اخرج أشرا، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله أريد إن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي اصبر، حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ". (المجلسي، ١٩٨٣، ص٣٢٩- ٣٣٠)

هذه المقدمة لوصيته، توضح القاعدة الفكرية والرؤية الكلية لثورته فقدّ تضمنت الوصية أصول الاعتقاد في الإسلام: التوحيد، النبوة، والإمامة، وفروع الاعتقاد في الإسلام منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإيمانه عليه السلام بهذه الأصول والفروع هو الذي حتم عليه القيام بثورته الإصلاحية، حفاظاّ على هذه الأصول والفروع؛ لتبقى فاعلة في حياة الأمة فرداً وجماعة؛ لكي لا تفقد العقيدة معناها الصحيح. (الهديبي، ٢٠٠٢، ص١٨)

مثل الإمام الحسين عليه السلام في ثورته فكر وعقيدة الجهاد النضالي؛ بأسلوب واقعي مؤثر، وكانت بمثابة رسالة وفريضة عند الأجيال؛ للتصدي للانحراف والفساد والظلم، فكانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام أهم أدواتها هو معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه وحدة الجهاد الوطني، والوقوف ضد السكون الظاهري الذي يسود بعض المجتمعات؛ لنصرة الحق من التشتت والتمزق والاستجابة لثورة جهادية نضالية، للوقوف بوجه الرعب والفزع الذي يهدد الإسلام والمسلمين؛ فكانت في ثورته الجهادية وخروجه بالجيش للمواجهة في كربلاء مشخصاً الواقع؛ الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في عهد (معاوية ويزيد) عهد الظلم والاستبداد، مشدداً لمبدأ الرسالة الإسلامية ومبدأ المعاد، وخطابه الجهادي مع اصحابه يؤكد الشهادة بصورة واقعية.. (ابن خلكان، د.ت، ص٤٠٦-٤٠٧)

إذ مثلت هذه الثورة منظومة واقعية مؤثرة على الصعيد النضالي، فتحولت من تراث إلى خطاب وفكر لم يفقد نبرته خلال الأزمنة، ورسالة إلى فريضة لدى الأجيال في وجوب التصدي للانحراف والفساد والظلم، خاصة إذا كان نابعاً من السلطة، مُشَكلة بذلك منهجاً أصبح مثلاً أعلى في وعي المتطلعين إلى التغيير، بصرف النظر عن ميولهم ومواقعهم السياسية والاجتماعية. (الحراني، ١٤٠٤هـ، ص٣١١)

لقدّ كان الأساس العقائدي الديني من أهم الأسس الفكرية عند الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنه أدرك إن الدين الإسلامي حرف تحريفاً واسعًا، وأدرك بأن التصحيح وحفظ الرسالة لا يمكن إن يحدث بالوعظ والإرشاد، وطرح المبادئ السلمية؛ فأن القاعدة الفكرية للمجتمع أصبحت مناقضة بصورة كلية لروح الإسلام، ولا يمكن إن يوقف هذا التيار إلا المواجهة المباشرة مع السلطة؛ ليهز ضمير الأمة ويوقظها، لذلك فهو اعتبر نفسه المسؤول الأول عن إنقاذ دين وأمة رسول الله صلى الله عليه وآله من مخالب الطغاة. (الآصفي، ١٤١٦هـ، ص٦١- ٦٢)

لذلك فأن تركيز الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد في الإسلام في عهد معاوية ويزيد كان له بعداً دينياً مهماً. إذ أن معاوية عمل على زعزعة فكر الأمة عن طريق إيجاد خطوط فكرية دخيلة على الفكر القرآني، أمثال العقيدة الجبرية وعقيدة الإرجاء، وحتى يزيد استمر في الارتكاز على المقولات الجبرية في خطاباته مستكملاً سياسة أبيه بهذا المجال، إذ قال في خطاب العرش عند أول يوم تسلمه لمنصب الخلافة: " **الحمد لله الذي ما شاء صنع، ومن شاء منع، ومن شاء خفض، ومن شاء رفع، إن أمير المؤمنين - يعني معاوية - كان حبلا من حبال الله مده ما شاء الله إن يمده، ثم قطعه حين أراد إن يقطعه.. وقد وليت بعده الأمر ولست اعتذر من جهل، ولا أتي على طلب علم، وعلى رسلكم إذا كره الله شيئاً غيره وإذا أحب شيئاً يسره..**". .(الأندلسي، ١٤٠٨هـ، ص١٤٩)

لقدّ وقف الإمام الحسين عليه السلام بوجه معاوية مدافعاً عن الإسلام وعن نبيه محمد صلى الله عليه وآله؛ فقد واجه الإمام الحسين عليه السلام معاوية مباشرة حينما أراد منه البيعة لولي عهده يزيد مذكراً إياه تماديه بهذا الموضوع، إذ كان معاوية يلبس موضوع توريث الحكم لباساً دينياً مستغلاً اسم النبي صلى الله عليه وآله بالثناء عليه والحفاظ على دينه؛ لذلك لابدّ من استقرار الحكم وتداعياته بالتوريث، إذ قال عليه السلام: "**إما بعد: يا معاوية فلن يؤدي المادح وأن اطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله من جميع جزءاً، وقدّ فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ النعت، وهيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس انوار السرج، ولقدّ فضلت حتى افرطت، واستأثرت حتى اجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجُرتَ حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل..**" (الدينوري، د. ت، ص١٦٠).

وهنا فضح الإمام الحسين عليه السلام معاوية لاستعماله اسم الرسول صلى الله عليه وآله في تحقيق مآربه

السياسية، بهذا التوصيف الدقيق، فبلغت الأوضاع الدينية الانحدار الذي أصبح واضحاً للعيان وخاصة ما يتعلق بتحريف السنة النبوية في كافة الاتجاهات. كذلك واجه الإمام عليه السلام معاوية نقضه لسنة الله ورسوله صلى الله عليه وآله؛ ذلك عندما استنكر عليه استلحاق زياد إلى أبيه أبي سفيان. إذ قال عليه السلام لمعاوية: **" أو لست بمدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقدّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله تعمداً، وتبعت هواك بغير هدىً من الله..**". (لجنة الحديث، ١٩٩٥، ص٣١٥)

فكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام، من أجل مشروع الدولة الإسلامية التي لا تقوم على الفئوية أو المذهبية أو الطبقية، ولا على الغلبة والاستقواء. هذا المنظور الإسلامي هو حلم الإنسانية الدائم، فالإنسان بنظرته يبحث دائماً عن المساواة والعدالة والكرامة والحرية، وهذه المفاهيم نهض من أجلها الإمام عليه السلام بوجه حكم معاوية ويزيد، وبهذا المعنى فان الخطاب العام لحركة الإمام عليه السلام هو خطاب الوحدة خارج الحزبية والمذهبية، فمن الخطأ ومن المغالطات ربط ثورة الإمام الحسين عليه السلام بالشيعة، فهو ركز الأسس الفكرية التي يجب على المسلم الالتزام بها طبقاً لمنهج الرسول صلى الله عليه وآله، وهنا تطور مفهوم التشيع والمشايعة لهذه الأسس والمبادئ التي أرادت ثورة الإمام الحسين عليه السلام تركيزها في المجتمع الإسلامي. (الحراني، ١٤٠٤هـ، ص٥٨)

كما أكد الإمام عليه السلام في ثورته على أساس فكري مهم في الجانب الديني لهذه الثورة، متمثل بتركيزه على إن سيرة ونهج الإمام علي عليه السلام هي امتداد طبيعي لسيرة ونهج الرسول صلى الله عليه وآله: "**وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب**"، فأبيه إمام وخليفة وواجه عملية السب والشتم المنظم بدلالات وأغراض سياسية وشخصية من معاوية ومن أتى بعده من الخلفاء الأمويين، على الرغم من مكانته في الإسلام. لذلك جاء بيان الإمام الحسين عليه السلام متضمناً تأكيده إبراز مكانة أبيه وعلاقته بالرسالة الإسلامية ودوره فيها، وصلته بالنبي صلى الله عليه وآله وموقعه الحقيقي في الأمة، فضلاً عن ذلك عقدّ الإمام الحسين عليه السلام مؤتمراً سياسياً في منى، دعا فيه جمهوراً واسعاً من المسلمين قبل وفاة معاوية بسنة ٥٩ هجرية في موسم الحج، أدان فيه حكم معاوية وذكر فيه فضل أبيه وقربه ومنزلته من النبي صلى الله عليه وآله، جاء فيه: **"إما بعد: فأن هذا الطاغية – يعني معاوية– قدّ فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم، وعلمتم وشهدتم.. أنشدكم الله أتعلمون إن علي بن أبي طالب كان أخا رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ؟..أنشدكم الله أتعلمون إن رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟..**".(الهلالي، د. ت، ص٣٢٠– ٣٢٣)

لقدّ وقف الإمام الحسين عليه السلام بوجه معاوية مدافعاً عن الإسلام وعن نبيه محمد صلى الله عليه وآله؛ فقد واجه عليه السلام معاوية مباشرة حينما أراد منه البيعة لولي عهده يزيد مذكراً إياه تماديه بهذا الموضوع، إذ كان معاوية يلبس موضوع توريث الحكم لباساً دينياً مستغلاً اسم النبي صلى الله عليه وآله بالثناء عليه والحفاظ على دينه؛ لذلك لابدّ من استقرار الحكم وتداعياته بالتوريث، إذ قال عليه السلام: " إما بعد: **يا معاوية فلن يؤدي المادح وان أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ النعت، وهيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجُرتَ حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى اخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل..**". (الدينوري، د.ت، ص١٦٠)

وكان الأساس المتمثل بالجانب الديني، إن واقع المسلمين شيء وإسلامهم ودينهم شيء أخر، في عهد معاوية ويزيد، فالخليفة لم يكن يمثل الشريعة بأي حال من الأحوال، لذا فأن الواقع الديني كان مضطرباً بشكل عام، فارتكز هذا الأساس سياسياً على تفعيل العامل الديني في المجتمع الإسلامي في عهد معاوية ويزيد، من خلال التركيز على أسس التوحيد والنبوة والمعاد والإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبدو إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العوامل العقائدية المهمة عند الأمام الحسين عليه السلام؛ لان عوامل النهوض كانت ترتكز بشكل عام على الانحراف الشامل للأوضاع العامة للدولة الإسلامية (الديني، السياسي، والاقتصادي..) وهذان العاملان يدخلان في صلب هذه الأوضاع الثلاثة عند المطالبة بالتغيير من خارج السلطة، فلم تكن دعوة أهل الكوفة ولا المبايعة تدفع بالإمام عليه السلام بالخروج، إنما كانت هذه العوامل ثانوية، بل إن الإمام عليه السلام قرر التحرك لفساد الأوضاع، وشيوع المنكرات، وبتعبير الإمام عليه السلام كما ذكرنا تحول الحلال إلى حرام والحرام إلى حلال، وتعطيل الحدود، والاستئثار بالفيء، وترك المعروف والعمل بالمنكر، ومن ثمَّ فان رؤية هذا الوضع المنحرف للمجتمع، وضع إمام الإمام عليه السلام منعطف المواجهة، واوجب عليه القيام والنهضة؛ لأنه تيقن إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو المبدأ الوحيد الذي يضمن بقاء الإسلام، وبعبارة أخرى هو " العلة المبقية " كما يصطلح عليه الفقهاء، ولهذا فان نهضة الإمام الحسين عليه السلام في جانبها الديني استقت قيمتها وأهميتها الأساسية من بُعد هذين العاملين، اللذين أصبحا المحرك الأساس للمطالبة بإحياء بقية

الأسس الدينية في المجتمع الإسلامي التي حرفها معاوية ويزيد. (المطهري، ١٤٣٠هـ، ص٥٤)

لقدّ جسدت الثورة الحسينية أهمية الدين، وأنه يستحق هذا المقدار العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إقامة الأحكام الإسلامية والشعائر الدينية؛ لأن الدين على عظمته إنما اكتسب الأهمية؛ لأنه أمر الله ونهيه، والرسول صلى الله عليه وآله إنما اكتسب الأهمية؛ لأنه رسول الله تعالى. (الصدر، ١٤١٧هـ، ص١٠١)

وبذلك فأن حفظ هيبة الدين الإسلامي بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كانت حاضرة، عن طريق تركيز الإمام عليه السلام على عدة اعتبارات ومرتكزات في النظام الاجتماعي، ترتبط بالدين الإسلامي، إذ أحيا عليه السلام هذه المرتكزات الإسلامية؛ لتكون قاعدة أساسية للعقائد الإسلامية المرتبطة بمبادئ الإسلام، وعن طريق هذه المرتكزات، التي من أهمها: تثبيت وإحياء فريضة الشهادة والتضحية، وبعثه الأخلاق الإسلامية والاجتماعية من جديد، وتعزيز مكانة ودور المرأة في الإسلام.. وتكريس مبدأ الشهادة في الأمة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى والانتصار للعقيدة و الدين؛ لهذا كانت حتمية الشهادة من ثوابت ثورة الإمام الحسين عليه السلام فهو منذ خروجه على الحكم الأموي بقيادة يزيد لم يكن يتوقع غير الشهادة له ولمن معه، وحديثه مع الناس بصورة عامة، ومع أنصاره بصورة خاصة كان يؤكد الشهادة له ولأصحابه بصورة قطعية، وعلى الذين يخرجون معه، إن يوطنوا أنفسهم عليها، ولذلك كان يكرر التصريح بها دائماً، إذ عدّ الإمام الحسين عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمايته من الانحراف والانقراض (الآصفي، ١٤١٦هـ، ص١٧٣- ١٧٤)

إن ربط الإمام الحسين عليه السلام الشهادة بالفتح، إنما يعني أن الفتح هو ليس التغلب والانتصار على العدو عسكرياً، إنما الفتح له مفهوم حضاري؛ فالصراع في كربلاء لم يكن بين رجلين ولا بين جيشين، وإنما بين عقيدتين وفكرتين ومبدأين؛ فالأمويون يريدون أن يعيدوا الجاهلية بكل إبعادها، والإمام الحسين عليه السلام يريد أن يكرس عقائد الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكانت الشهادة من مفاتيح الفتح التي أعادت إلى الأمة وعيها وضميرها، ولو لم يسقط الإمام عليه السلام الشرعية ويجرد الأمويون من الغطاء الديني بشهادته وتضحيته وجهاده وصلابة موقفه لتغيرت جميع الموازين الفكرية والعقائدية والشرعية والأخلاقية، ولطرح الإسلام طرحاً مشوهاً محرفاً عن سياقاته الأصيلة. (الآصفي، ١٤١٦هـ، ص١٧٧- ١٧٨)

لقدّ كان الإمام الحسين عليه السلام يدرك تماماً انحلال القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي،

وكان يعرف الأسباب المباشرة نابعة من مركز الخلافة التي حرصت على تجهيل الأمة بالإسلام الحقيقي، وعدم فهمه بالشكل الصحيح، وقد قلبت السلطة المفاهيم الأخلاقية التي أرادها الإسلام رأساً على عقب، وسخرت كل موارد الدولة وطاقاتها وإعلامها لغرض بث المفاهيم المعكوسة عن الإسلام، وجعل تلك المفاهيم مقدسة ومن المسلمات التي لا داعي لأعمال العقل فيها. (يعقوب، ١٩٩٧، ص١٩٩)

مجموعة هذه الأمور التي أصابت حالة الأمة في الجانب الأخلاقي، شخصها الإمام الحسين عليه السلام ووضحها على الملأ في المؤتمر السياسي العام الذي عقده في منى، مخاطباً النخب والقواعد العامة للرعية، مشيراً إلى الإمراض الاجتماعية والأخلاقية في الأمة بكافة طبقاتها، واضعاً بخطابه هذا الأساس الفكري العقائدي المبدئي في الجانب الأخلاقي، إذ قال: "**..قد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله إن تحل بكم نقمة من نقماته؛ لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها ومن يعرف بالله لا تكرمون، وانتم بالله في عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تقرعون، وانتم لبعض ذمم إبائكم تقرعون وذمة رسول الله محقورة، والعمي والبكم والزمن في المدائن مهملة، ولافي منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعنون، وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تؤمنون، وانتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسمعون..**". (المجلسي، ١٩٨٣، ص٨٠)

إذاً، فالدعوة إلى نموذج من الأخلاق أسمى ممّا يُمارسه الإمام عليه السلام في المجتمع كضرورة لازمة؛ لأنّه لا بدّ أن تتغيّر نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى الحياة ليمكن إصلاح المجتمع الإسلامي. ولقدّ قدم الإمام الحسين عليه السلام وآله وأصحابه ـ في ثورتهم على الحكم الأموي ـ الأخلاق الإسلاميّة العالية بكلّ صفاتها ونقائها، ولم يُقدّموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم، وإنّما كتبوه بدمائهم وحياتهم. (شمس الدين، ٢٠٠٦، ص١٩٤-١٩٥)

وكان الأساس الديني واضحاً في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ليس فقط على المستوى الفكري، كما بينا، بل حتى ضمن الأساس العملي، فهو وحتى في ساحة المواجهة الحربية في كربلاء مع الجيش الأموي لم يتخلَ عن تأدية الشعائر العبادية، فكانت الممارسات الدينية في أثناء المعركة من الإمام عليه السلام قائمة في أوقاتها، كالصلاة مثلاً، فعندما زحف معسكر عمر بن سعد قائد الجيش الأموي آنذاك نحو معسكر الإمام عليه السلام، عصر يوم التاسع من شهر محرم سنة ٦١ هجرية، أي قبل استشهاده بليلة واحدة، التفت إلى أخيه العباس بن علي عليه السلام وقال له: "**أرجع إليهم، فأن أستطعت إن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه**

ونستغفره، فهو يعلم إني أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار ". (ابن الأثير، ١٩٦٦، ص٥٧)

لقدّ جسدّ الإمام الحسين عليه السلام مبدأ المعاد بثورته تجسيداً حياً إذ عرض نفسه وأهله للقتل من اجل حماية الإسلام، وإيماناً منه أنه ملاقيّ ربه وهو سعيد لوقوفه بوجه حكم يزيد ومن قبله معاوية، فقد عبر عن هذه الحقيقة في قوله عليه السلام: **".. وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، إلا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً ".** (الذهبي، ١٩٨٧، ص١٢)

لذلك شدد الإمام الحسين عليه السلام على أهمية المعاد في أساس ثورته: **"وإن الجنة حق. والنار حق. وإن الساعة آتية لا ريب منها. وإن الله يبعث من في القبور"**، ذلك لأن الأمة في عهد معاوية أصبحت منهارة دينياً؛ لأن الحكم غايته السلطة لا إقامة العدل في بلاد الله، ولما كان الحكم والسلطة غاية معاوية، فهو لم يتورع عن اتخاذ إي وسيلة في سبيل الوصول إليه وبقائه تحت يديه، فأصبحت الأمور الاعتقادية للحاكم ومن هم في بلاط السلطة لا قيمة لها ولا قدسية لها؛ لذلك عاش الحكام والرعية حال الانفصال بين دعواهم وإيمانهم بالإسلام، وعدم صدقية الإيمان بمبدأ المعاد، وبين واقعهم العملي، فقدّ وصفهم الإمام الحسين عليه السلام: **"الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درئت معائشهم، فإذا مُحصوا بالبلاء قل الديانون".** (الحراني، ١٤٠٤هـ، ص٢٤٥)

وبذلك حقق الإمام الحسين عليه السلام هدفه في تكريس الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي نفوس الأمة، منذ ثورته ومر علينا كيف إن ثقافة الاستشهاد تزامنت مع تحرير إرادة الأمة وتعزيز رقابتها العملية على السلطة، أدت بالنهاية إلى سقوط الحكم الأموي؛ لأن الشهادة لها بُعد ومفهوم قرآني أكدته السنة النبوية الشريفة. (عطا، د. ت، ص ١٨٠- ١٨١)

ومن النتائج الفكرية العقائدية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، بعدها الجماهيري وعالميتها وإنسانيتها، إذ مثلت هذه الثورة شعور أنساني عام مفاده وجوب تكليفي للوقوف في وجه الانحراف والفساد الذي يصيب إي امة أو مجتمع أو دولة. فهي لذلك تكون مكلفة للنهوض بوجه هذا الانحراف الذي يسحق كرامتها وحياتها.

وأيضاً دللت ثورة الإمام الحسين عليه السلام على الواقع الإسلامي لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله،

وكشفت للعالم الإسلامي المواقف والإمكانيات والسمات الصالحة التي يملكونها، من الثبات على الحق والصمود إمام الإحداث، وتبني القضايا المصيرية للأمة، مما جعلت الأمة الإسلامية تكن لهم الود والتقدير والولاء والاعتبار.

وأظهرت هذه الثورة إن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، هم المثل الأعلى للقيادة الروحية والزمنية لهذه الأمة، وأنهم مستحقون ومؤهلون لمنصب الخلافة الإسلامية، وإن تحييدهم عنها إنما وقع نتيجة اختلال الموازين السياسية والدينية الناجمة عن الظلم الحاصل لهم. (القرشي، ١٩٧٥، ص٤٤٢)

كما أدت ثورة الإمام عليه السلام إلى تركيز محور ومفهوم التشيع في الفكر الإسلامي، إذ ارتبط هذا المفهوم بالثورة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مباشرة. هذا التركيز في توحيد صفوف الشيعة وخلق روح التضامن فيما بينهم، جاء بفعل ثورة الإمام عليه السلام وفي ميدانها في كربلاء تحديداً، فبعد إن كان إتباع أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ينقصهم الحماس واللحظة الثورية لبذل النفس والدفاع عما يؤمنون به، خصوصاً بقضية الاستحقاق السياسي لأهل البيت عليهم السلام في تولي مركز الخلافة. وقد تبدل هذا الشعور بعد واقعة كربلاء، فتركزت قوة التشيع بشكل فعال، وبدأت تدخل مجال المعارضة السياسية بنوعيها الايجابي والسلبي، وتصدت للإطاحة بحكم الأمويين، فقدّ توحدوا تحت شعار سياسي وعسكري مفاده "ثارات الحسين".

إذ يقول بعض الكتاب:" إن هذه الواقعة في كربلاء بمعطياتها، اذكت التشيع إلى أقصى حد، وكانت عاملاً على وحدة بؤرة التشيع وحماسهم لنصرة الإسلام، وسبباً جارفاً ليثأروا من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثمَّ جعلتهم يشعرون بوجوب توحيد صفوفهم، والالتفاف لمشايعة المبادئ التي خرج الإمام الحسين عليه السلام للدفاع عنها وإصلاح ما انتكس وانحرف منها. (القرشي، ١٩٧٥، ص٤٤٣-٤٤٤)

لقدّ استحقت الثورة الحسينية هذا البعد الجماهيري، فمع مطلع كل شهر محرم من كل سنة هجرية، يُستحضر موقف وثورة الإمام الحسين عليه السلام، في وجدان الفكر الإنساني برمته، وهذا يدلل على إن فكر الثورة يمثل عقيدة راسخة في نفوس المفكرين والقادة والقواعد الجماهيرية في كل البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، لذا فهي لم تخص طائفة معينة، وإنما تخص الإنسانية عموماً. (القزويني، ٢٠٠٧، ص١٦)

هوامش البحث ومصادره

- القرآن الكريم.
١- ابن الاثير، عز الدين علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٦.
٢- ابن خلكان. وفيات الاعيان وانباء الزمان، تحقيق: احسان عباس، لبنان، دار الثقافة للنشر، د.ت.
٣- الآصفي، محمد مهدي. في ظلال الطف، ط١، بيروت، دار الكرام، ١٤١٦هـ.
٤- الاندلسي، ابن عبد ربه. العقد الفريد، تحقيق: احمد الزيني، وابراهيم الابياري، ط١، بيروت، دار الاندلس، ١٤٠٨هـ.
٥- الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، (تاريخ الخلفاء)، تحقيق: طه محمد الزيني،(د. م، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع د.ت.
٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، تاريخ الاسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧.
٧- شمس الدين، محمد مهدي. ثورة الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية، تحقيق: سامي الغريري، ط١، د. م، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦.
٨- الصدر، محمد باقر. اقتصادنا، ط٢، قم، مؤسسة بوستان للنشر، ١٤٢٥هـ.
٩- الصدر، محمد محمد صادق. أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، ط٢، النجف الاشرف، د. ن، ١٤١٧هـ.
١٠- الحراني، ابن شعبة. تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، ط٢. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
١١- عطا، محمد عبد القادر. أحكام القرآن، دار الفكر للنشر، ج٤، د. ت.
١٢- القرشي، باقر شريف. حياة الإمام الحسين عليه السلام، ط١،، النجف الاشرف، مطبعة الآداب، ١٩٧٥.
١٣- القزويني، شاكر. ملحمة عاشوراء منهج للحياة والموت والعبادة، مجلة الكوثر، النجف الاشرف، السنة السابعة، العدد ١١٤، ٢٠٠٧.
١٤- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ط٣، قم، دار المعروف للنشر، ١٩٩٥.
١٥- المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الإئمة الأطهار، تحقيق: يحيى العابدي، ط٢ بيروت، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣.
١٦- مطهري، مرتضى. الملحمة الحسينية، ط٣، قم، طليعة النور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ.
١٧- الهديبي، حبيب إبراهيم. قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسة، ط١،. م، المؤسسة الإسلامية للبحوث والدراسات والمعلومات، ٢٠٠٢.
١٨- الهلالي، سليم بن قيس. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر يحيى العابدي، ط٢ بيروت، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣.
١٩- يعقوب، احمد حسين. كربلاء الثورة والمأساة، ط١، بيروت، مركز الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.